بسم الله الرحمن الرحيم

٨٠ - سورة عبس

وتسمى الصاخبة . مكية وآيها اثنتان وأربعون .

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ)

[٢] (أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ)

« عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ » .

روى ابن جرير (١) : وابن أبى حاتم : عن ابن عباس ، قال : بينا رسول الله ﷺ يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب ، وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم ، يمشى وهو يناجيهم . فجعل عبدالله يستقرئ النبىّ ﷺ آية من القرآن وقال: يارسول الله ! علمنى مما علمك الله . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه . وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه ، وأخذ ينقلب إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ) الآيات . فلما نزل فيه ما نزل ، أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، وقال له رسول الله ﷺ : ما حاجتك ؟ هل تريد من شىء ؟ وإذا ذهب من عنده قال : هل لك حاجة فى شىء ؟ .

قال ابن كثير : وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة . والضحاك . وابن زيد . وغير واحد من السلف والخلف ؛ أنها نزلت فى ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد الله . ويقال عمرو . والله أعلم . انتهى .

وقال الرازىّ : أجمع المفسرون على أن الذى عبس وتولى هو الرسول صلوات الله عليه . وأجمعوا أن الأعمى هو ابن أم مكتوم . قال الشهاب : وهو مكىّ قرشىّ من المهاجرين الأولين .

(١) انظر الصفحة رقم ٥١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

وكان النبيّ ﷺ يستخلفه على المدينة فى أكثر غزواته . وكان ابن خال خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

قيل: عمى رضى الله عنه بعد نور. وقيل : ولد أعمى. ولذا لقّبت أمه أم مكتوم. والتعرض لعنوان عماه ، إما لتمهيد عذره فى الإقدام على قطع كلامه ﷺ وتشاغله بالقوم : وإما لزيادة الإنكار . كأنه قيل: تولى لكونه أعمى . وكان يجب أن يزيده لعماه ، تعطفاً وترؤفاً وتقريباً وترحيباً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣] (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ)

[٤] (أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ)

[٥] (أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ)

[٦] (فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ)

[٧] (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ)

[٨] (وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ)

[٩] (وَهُوَ يَخْشَىٰ)

[١٠] (فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ)

« وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ » أى يتطهر ـ بما يتلقن منك ـ من الجهل أو الإثم. وفى الالتفات إلى الخطاب إنكار للمواجهة بالعتب أولا ، إذ فى الغيبة إجلال له ﷺ ، لإيهام أن من صدر منه ذلك غيره ، لأنه لا يصدر عنه مثله . كما أن فى الخطاب إيناساً بعد الإيحاش ، وإقبالاً بعد إعراض .

وقال أبو السعود : وكلمة (لعل) مع تحقق التزكى ، واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام . للتنبيه على أن الإعراض عنه ، عند كونه مرجوّ التزكى ، مما لا يجوز . فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكى ؟ كما فى قولك (لعلك ستندم على ما فعلت) وفيه إشارة إلى أن إعراضه كان لتزكية غيره. وأن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلا « أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ » أى يعتبر ويتعظ فتنفعه موعظتك . وتقديم التزكية على التذكر ، من باب تقديم التخلية على التحلية .

« أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ » أى بماله وقوته عن سماع القرآن والهداية والموعظة « فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ » أى تتعرض بالإقبال عليه ، رجاء أن يسلم ويهتدى « وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ » أى وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام . إنْ عليك إلا البلاغ . قال الرازىّ : أى لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم، إلى أن تعرض عمن أسلم، للاشتغال بدعوتهم «وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ » أى يسرع فى طلب الخير « وَهُوَ يَخْشَىٰ » أى يخاف الله ويتقيه « فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ » أى تعرض وتتشاغل بغيره .

تنبيهات :

الأول : قال السيوطىّ فى (الإكليل) : فى هـذه الآيات حث على الترحيب بالفقراء والإقبال عليهم فى مجالس العلم وقضاء حوائجهم، وعدم إيثار الأغنياء عليهم. وقال الزمخشرىّ: لقد تأدب الناس بأدب الله فى هذا تأدباً حسناً . فقد روى عن سفيان الثورىّ رحمه الله أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء .

الثانى : فى هذه الآيات ونحوها ، دليل على عدم ضنه ﷺ بالغيب. قال ابن زيد : كان يقال : لو أن رسول الله ﷺ كتم من الوحى شيئاً ، كتم هذا عن نفسه .

الثالث : قال الرازىّ : القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام ، تمسكوا

بهذه الآية وقالوا : لما عاتبه الله فى ذلك الفعل، دل على أن ذلك الفعل كان معصية. وهذا بعيد. فإنا قد بينا أن ذلك كان هو الواجب المتعين ، إلا بحسب هذا الاعتبار الواحد . وهو أنه يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء . وذلك غير لائق بصلابة الرسول عليه السلام . وإذا كان كذلك ، كان ذلك جاريا مجرى ترك الاحتياط وترك الأفضل ، فلم يكن ذلك ذنباً البتة .

وأجاب الإمام ابن حزم فى (الفِصَل) بقوله: وأما قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ) الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش، ورجا إسلامه. وعلم عليه السلام أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثير ، وأظهر الدين. وعلم أن هذا الأعمى الذى يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته ، وهو حاضر معه . فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير ، عما لا يخاف فوته. وهذا غاية النظر فى الدين والاجتهاد فى نصرة القرآن فى ظاهر الأمر ونهاية التقرب إلى الله ، الذى لو فعله اليوم منا فاعل ، لأُجِرَ . فعاتبه الله عز وجل على ذلك ، إذ كان الأولى عند الله تعالى أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقىّ ، وهذا نفس ماقلناه ! انتهى .

وقال القاشانىّ: كان ﷺ فى حجر تربية ربه، لكونه حبيباً. فكلما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق، عوتب وأدب. كما قال[1]: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) إلى أن تخلق بأخلاقه تعالى . انتهى . وقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١] (كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ)

[١٢] (فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ)

[١٣] (فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ)

(١) فى كشف الخفاء (١٦٤) : رواه العسكرىّ عن علىّ رضى الله عنه .

[١٤] (مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ)

[١٥] (بِأَيْدِى سَفَرَةٍ)

[١٦] (كِرَامٍ بَرَرَةٍ)

[١٧] (قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ)

« كَلَّآ » ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله . قال أنس رضى الله عنه: كان النبيّ ﷺ بعد ذلك يكرمه. رواه أبو يعلى. وقوله تعالى « إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ » أى إن المعاتبة المذكورة موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها .

قال الشهاب : وكون عتابه على ماذكر عظة ، لأنه مع عظمة شأنه ومنزلته عند الله إذا عوتب على مثله . فما بالك بغيره ؟ وجوّز عود الضمير للآيات وللسورة، وللوصية بالمساواة بين الناس ، ولدعوة الإسلام. وقوله تعالى « فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ » أى حفظه. على أنه من (الذكر) خلاف النسيان : أو اتعظ به ، من (التذكير) .

قال الزمخشرىّ : وذكّر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ . وقيل: الضمير للقرآن، والكلام استطراد « فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ » يعنى صحف آيات التنزيل وسوره « مَّرْفُوعَةٍ » أى عالية المقدار « مُّطَهَّرَةٍ » من التغيير والنقص والضلالة « بِأَيْدِى سَفَرَةٍ » جمع سافر بمعنى سفير. أو هو الذى يسعى بين قومه بالصلح والسلام. يقال : سفر بين القوم، إذا أصلح بينهم. ومنه قوله[1] .

وما أدعُ السفارةَ بين قومى ... وما أَمْشِى بِغِشٍّ ، إن مَشَيْتُ

(١) قال فى حاشية ابن جرير (٣٠/٥٤) : البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥٨) قال : وقوله بأيدى سفرة وهم الملائكة، واحدهم سافر. يقال: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم . فجعلت الملائكة ، إذ نزلت بوحى الله وتأديته ، كالسفير الذى يصلح بين القوم .

والسفرة ، إما الملائكة لأنهم يسفرون بالوحى بين الله تعالى ورسله ، كأنه محمول بأيديهم . وإما الأنبياء لأنهم وسائط فى الوحى يبلغونه للناس « كِرَامٍ » أى عنده تعالى ، لاصطفائهم للرسالة « بَرَرَةٍ » أى أخيار ، جمع (بارٍّ) وهو صانع البر والخير .

« قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ » قال الرازىّ : اعلم أنه تعالى لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين ، عجّب عباده المؤمنين من ذلك . فكأنه قيل : وأى سبب فى هذا العجب والترفع ؟ مع أنّ أوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة . وفيما بين الوقتين حمال عذرة . فلا جرم ، ذكر تعالى مايصلح أن يكون علاجاً لعجبهم ، وما يصلح أن يكون علاجاً لكفرهم . فإن خلقة الإنسان تصلح لأن يستدل بها على وجود الصانع وعلى القول بالبعث والحشر والنشر . ومرجعه إلى أن المراد بالإنسان من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به . وجوز أن يراد بالإنسان الجنس المنتظم للمستغنى ، ولأمثاله من أفراده ، لا باعتبار جميع أفراده .

لطائف :

الأولى : قال الزمخشرىّ : (قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ) دعاء عليه وهى من أشنع دعواتهم . لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها .

الثانية : قال ابن جرير[1] : فى قوله (مَآ أَكْفَرَهُۥ) وجهان أحدهما التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده . والآخر ما الذى أكفره ؛ أى أىُّ شىء أكفره . وعلى الثانية ، فالهمزة للتصيير كـ(أَغَدَّ البعيرُ) .

الثالثة : قال الزمخشرىّ فى هذه الآية : ولا ترى أسلوباً أغلظ منه ولا أخشن متناً ولا أدل على سخطٍ ولا أبعد شوطاً فى المذمة ، مع تقارب طرفيه ولا أجمع لِلَائمةٍ ، على قصر متنه . وسره ما أشار له الرازىّ من أن قوله (قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ) تنبيه على أنهم استحقوا أعظم أنواع العقاب . وقوله (مَآ أَكْفَرَهُۥ) تنبيه على أنهم اتصفوا بأعظم أنواع القبائح والمنكرات .

(١) انظر الصفحة رقم ٥٤ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

الرابعة : أفاد فى (الكشف) أن الدعاء ليس على حقيقته ، لامتناعه منه تعالى . لأن منشأه العجز . فالمراد به إظهار السخط باعتبار جزئه الأول، وشدة الذم باعتبار جزئه الثانى. أى لاستحالة التعجب بمعناه المعروف أيضاً . وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨] (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)

[١٩] (مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ)

[٢٠] (ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ)

[٢١] (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)

« مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ » شروع فى بيان إفراطه فى الكفر، بتفصيل ماأفاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره ، من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة، مع إخلاله بذلك . وفى الاستفهام عن مبدأ خلقه ، ثم بيانه بقوله تعالى « مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ » تحقير له . أى من أى شىء حقير مهين خلقه ؟ من نطفة مذرة خلقه « فَقَدَّرَهُ » أى فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال . أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقه «ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ» أى سهله . وهو مخرجه من رحم أمّه بعد اجتنانه وتعاصيه . أو سبيل الإسلام .

قال ابن زيد هداه للإسلام الذى يسره له وأعلمه به . أى بما غرز فى فطرته من الخير ، وأودع فى غريزته من وجدان معرفة الخالق . وقال مجاهد: يعنى سبيل الشقاء والسعادة وهو كقوله[1] (إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ) واختاره أبو مسلم قال : المرادمن هذه الآية هو المرادمن قوله[2] (وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ) فهو يتناول التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا، وبين كل خير وشر يتعلق بالدين . أى جعلناه متمكناً من سلوك سبيل الخير والشر . والتيسير يدخل

(١) [٧٦ / الإنسان / ٣] . (٢) [٩٠ / البلد / ١٠] .

فيه الإقدار والتعريف والعقل وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب . نقله الرازىّ . « ثُمَّ أَمَاتَهُ وَفَأَقْبَرَهُ » أى جعله ذا قبر يوارَى فيه ، تكرمةً له ، ولم يجعله مطروحاً على وجه الأرض للطير والسباع ، كالحيوان .

قال الفراء : ولم يقل (فقبره) لأن القابر هو الدافن بيده ، والمقبر هو الله تعالى . يقال (قبر الميت) إذا دفنه . و (أقبر الميت) إذا أمر غيره بأن يجعله فى القبر .

وقال ابن جرير[1] : القابر هو الدافن الميت بيده كما قال الأعشى :

لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ)

[٢٣] (كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ)

[٢٤] (فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ)

[٢٥] (أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا)

[٢٦] (ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا)

[٢٧] (فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا)

[٢٨] (وَعِنَبًا وَقَضْبًا)

[٢٩] (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا)

[٣٠] (وَحَدَآئِقَ غُلْبًا)

(١) انظر الصفحة رقم ٥٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

[٣١] (وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا)

[٣٢] (مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ)

« ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ » أى بعثه بعد مماته وأحياه. وإنما قال (إِذَا شَآءَ) لأن وقت البعث غير معلوم لأحد. فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى. متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم.

قال الشهاب : وتخصيص النشور به دون الإماتة والإقبار ، لأن وقتهما معين إجمالًا ، على ماهو المعهود فى الأعمار الطبيعية .

« كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ » قال ابن جرير[1]: أى ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر ، من أنه قد أدى حق الله عليه ، فى نفسه وماله ، فإنه لما يؤد ما فرض عليه من الفرائض ، ربُّهُ .

وقال القاشانى : لما بين أن القرآن تذكرة للمتذكرين ، تعجب من كفران الإنسان واحتجابه حتى يحتاج إلى التذكير . وعدد النعم الظاهرة التى يمكن بها الاستدلال على المنعم بالحس، من مبادئ خلقته، وأحواله فى نفسه، وماهو خارج عنه مما لايمكن حياته إلا به. وقرر أنه مع اجتماع الدليلين ، أى النظر فى هذه الأحوال الموجب لمعرفة الموجد المنعم والقيام بشكره ، وسماع الوعظ والتذكير بنزول القرآن ، لما يقض فى الزمان المتطاول ما أمره الله به من شكر نعمته، باستعمالها فى إخراج كماله إلى الفعل، والتوصل بها إلى المنعم . بل احتجب بها وبنفسه عنه . انتهى .

ولما فصل تعالى النعم المتعلقة بحدوثه ، تأثرها بتعداد النعم المتعلقة ببقائه . فقال سبحانه « فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ » أى فإن لم يشهد خلق ذاته، وعمى عن الآيات فى نفسه، وأصر على جحوده توحيدَ ربه ، فلينظر إلى طعامه ومأكله الذى هو أقرب الأشياء لديه . ماذا صنعنا فى إحداثه وتهيئته لأن يكون غذاء صالحًا. وقوله تعالى « أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ » أى من

(١) انظر الصفحة رقم ٥٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبى الثانية) .

المزن « صَبًّا » أى شديداً ظاهراً . وقد قرىء بكسر همزة (إنا) على الاستئناف المبين لكيفية حدوث الطعام ، وبالفتح على البدلية ، بدل اشتمال . بمعنى سببية الأول للثانى . أو تقوم الثانى بالأول. فهو من اشتمال الثانى عليه أو بدل كلّ ، ادعاء «ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا» أى صدعناها بالنبات . أو شققنا أجزاءها بعد الرىّ ليتخلل الهواء والضباء فى جوفها « فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا » يعنى حب الزرع . وهو كل ماحصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما من الحبوب « وَعِنَباً وَقَضْباً » وهو كل ما أكل من النبات رطباً ، كالقثاء والخيار ونحوها. سمى قضباً لأنه يقضب ، أى يقطع مرة بعد أخرى « وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَآئِقَ » جمع حديقة وهى البساتين ذوات الأشجار المثمرة ، عليها حوائط تحيط بها « غُلْباً » جمع غلباء أى ضخمة عظيمة . وعظمها إما لاتساعها البالغ حد البصر ، أو لغلظ أشجارها وتكاثفها والتفافها «وَفَٰكِهَةً » أى مما يؤكل من ثمار الأشجار « وَأَبًّا » وهو المرعى الذى تأكله البهائم من العشب والنبات « مَّتَٰعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ » أى تمتيعاً . مفعول له لـ (أنبتنا) أو مصدر حذف فعله وجُرّد من الزوائد . أى متعكم بذلك متاعاً ، وجعلكم تنتفعون به أنتم وأنعامكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٣] (فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ)

[٣٤] (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ)

[٣٥] (وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ)

[٣٥] (وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ)

[٣٧] (لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)

[٣٧] (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ)

[٣٩] (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)

[٤٠] (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ)

[٤١] (تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ)

[٤٢] (أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ)

« فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ » يعنى الداهية الشديدة ، وهى صيحة القيامة وصوت زلزالها الهائل المصمّ للآذان . يقال صخّه يصخه ، ضرب أذنه فأصمها . وصاح بهم صيحة تصخّ الآذان ، وقد صخ صخيخاً ، وهو صوته إذا قرع . وصخ لحديثه إذا أصاخ له ، بمعنى استمع كما فى (الأساس) ويجوز على الأخير أن تجعل بمعنى المستمعة ، مجازاً فى الإسناد . وجواب (إذا) محذوف يدل عليه مابعده . كيشتغل كل بنفسه ، أو افترق الناس « يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ » أى زوجته « وَبَنِيهِ » أى لاشتغاله بنفسه ، وعلمه بأنهم لاينفعونه .

قال الشهاب : يعنى أن الإقبال عليهم إما للنفع أو للانتفاع ، وكلاهما منتف لاشتغاله بنفسه عن نفس غيره ، وعلمه بعدم نفعه . وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة . فهو للترقى . كذا قيل .

قال الشهاب : والظاهر أنه لم يقصد ذلك لاختلاف الناس والطباع فيه « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » أى يكفيه فى الاهتمام به . كأن ذلك الهم الذى نزل به ، قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهمّ آخر ، فصار شبيها بالغنى « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ » أى مضيئة « ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ » أى مسرورة بنيل كرامة الله والنعيم المتزايد ، وهى وجوه المؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وقدموا من الخير والعمل الصالح ماملأوا به صحفهم « وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ » أى غبار وكدورة « تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ » أى تغشاها ظلمة « أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ » أى الفسقة الذين لايبالون ما أتوا به من معاصى الله ، وركبوا من محارمه ، فجوزوا بسوء أعمالهم وخبث نياتهم .